

نزوح مسلمي الامبراطورية الروسية خارج القوقاز بعد الحرب التركية الروسية 1877

The exodus of Muslims from the Russian Empire outside the Caucasus following the Turk-Russo war of 1877

محمد ناصر إسماعيل أبو الخير¹

¹معيد بكلية الآثار جامعة الفيوم – مصر mni11@fayoum.edu.eg

تاريخ الاستلام: 2022/04/02، تاريخ القبول: 2022/04/23، تاريخ النشر: 2022/04/30

ملخص:

قام القوقازيون المعروفون بشعوب الجبال بانتفاضة حركية ضخمة في محيط بحر قزوين للثورة ضد إجراءات الإمبراطورية الروسية العنيدة التي حرصت على تهجير السكان المحليين من مواطنهم الأصلية إلى الدولة الجارة (دولة الخلافة العثمانية) التي تتبّع نفس المذهب الديني لمسلمي شرق القوقاز، تلك الانتفاضة الشعبية التي قام بها المسلمون في داغستان نبعت من تشجيع الأتراك العثمانيين علي أحداث الفتنة داخل أملاك القيصرية الروسية بعد انتهاء الحرب الروسية التركية ورغبة منها في رد هبتها التي خسرتها إبان حربها في القوقاز وفي بلاد البلقان.

وقام الروس بالانتقام من قادة الانتفاضة الحركية التي قام بها سكان شرق القوقاز وعملوا علي تهجيرهم من مواطنهم إلى البلدان المحيطة وكان من بينها الجمهورية التركية وبعض المناطق الأخرى التابعة للخلافة العثمانية في بلاد الشام، وبذلك تعود تلك القبائل العربية إلى مواطنها الأصلية في بلاد الشام التي انتقلوا منها إلي القوقاز في العهد الراشدي والأموي بعد حملات التهجير التي قام بها الروس ضد مسلمي شرق القوقاز.

الكلمات المفتاحية: القوقاز؛ داغستان؛ روسيا؛ الخلافة العثمانية؛ شامل الداغستاني.

Abstract:

The Caucasians, known as the mountain peoples, staged a massive kinetic uprising in the vicinity of the Caspian Sea to revolt against the intransigent actions of the Russian Empire, which sought to displace the local population from their places of origin to the neighboring state (Turkey), which followed the same religious doctrine as the Muslims of the East Caucasus. The popular uprising carried out by the Muslims in Dagestan stemmed from encouraging the Ottoman Turks to cause sedition within the Russian Tsarist Estates after the end of the Russian-Turkish War and in the desire to restore the prestige it had lost during its war in the Caucasus and in the Balkans.

The Russians retaliated against the leaders of the kinetic uprising carried out by the inhabitants of the East Caucasus and displaced them from their homeland to the surrounding countries, including the Turkish Republic and some other areas belonging to the Ottoman caliphate in the Levant, thus returning these Arab tribes to their original places in the Levant from which they moved to the Caucasus in the Rashidun and Umayyad era after the campaigns of the Russians against the Muslims of the East Caucasus.

Keywords: Caucasus; Dagestan; Russia; the Ottoman caliphate; Shamil Dagestani.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

(أ) فرضيات البحث:

يُعالج هذا البحث الأبعاد السياسية التي انتهجتها القيصرية الروسية في بلاد القوقاز من محاولات لطمس معالم الثقافة الإسلامية والهوية العربية تمهيداً لفرض الاستعمار عبر القوانين الوضعية التي أجازها القيصرية وطبقتها السلطات التشريعية لقمع سكان القوقاز المحليين؛ (الجراكسة، الداغستانيين، الأذربيين، شعب الأديغة) وتهجيرهم من بلادهم إلى مواطنٍ آخري قد تكون مجهولة رغبةً منهم في السيطرة العسكرية التي أعقبت الغزو الثقافي والاقتصادي لبلاد القوقاز اعتماداً علي روايات المؤرخين المعاصرين من الروس والأجانب.

فكيف أثرت السياسة الروسية علي تغيير التوزيع الديموغرافي السكاني والتركيب الاجتماعي لمواطني بلاد القوقاز قبل وبعد الحرب الروسية التركية؟ والتي أعقبها عملية تهجير جماعي شبه كامل للأسر المسلمة إلى مواطنٍ آخري جديدة تنوعت نطاقاتها وجغرافيتها منعاً لتلاقي الأصول وسعيّاً من الإمبراطورية الروسية في تفريق الجموع منعاً لتكوين تحالفات ضد الحملات العسكرية التي قاموا بها في القوقاز، وهو الأمر الذي ترتب عليه تغيير في التركيبي السكاني والتوزيع الديموغرافي لأهل المنطقة، وتكوين عرقياتٍ آخري تسكن القوقاز وتهجير أهله إلى سيبيريا أو تركيا أو جورجيا أو بلاد الشام.

وما مدي تأثير ضم القوقاز علي السياسة الدولية والعلاقات التجارية والاقتصادية مع الجيران؛ تركيا، وإيران وأثر صداها علي المسلمين في العالم الإسلامي، ونتائجها في تكوين حركات الجهاد المسلح ضد المستعمر الروسي ودعمه للتصوف في مواجهة الأعداء، وهو الأمر الذي أعقبه تكوين الخانيات الإقطاعية في بلاد القوقاز وكانت سبباً في تفكيك رابطة الاتحاد الإسلامي وأعقبها انضمام شرق أوروبا إلى حوزة الروس؟ وما هي مجهودات زعماء المسلمين ومُريدي الطرق الصوفية في إثارة لهيب الشعوب الإسلامية للتصدي للمستعمر الخارجي؟ وما هي الدول الإسلامية التي استقبلت المهجرين بصدور رحب وكانوا نواة للمقاومة الإسلامية ضد الروس فيما بعد؟ وأثر ذلك علي السياسة الدولية آنذاك ومحاولات الممالك الأوروبية التدخل لوقف تمدد النفوذ الروسي في القوقاز وما نتج عنها من محاولات للسفارات الدبلوماسية بين الدول المحيطة وما أشيع حولها من اتفاقيات ومعاهدات كبري مثل معاهدتي "جولستان، تركمانتشاي" وأثر ذلك علي تكوين عرقيات جديدة في بلاد آخري مثل الشام وتركيا؟

(ب) قضايا البحث:

تناولت المصادر التاريخية سرد معظم الحوادث التاريخية كاملةً، ولكن إبان تلك الفترة قام الروس بتحويل القوقاز إلى ثكنة عسكرية؛ حيث منعت أي مواطنٍ أجنبي من الولوج إلى الداخل، وكان تهجير المواطنين المحليين يتم عبر السفن والمراكب إلى الدول المحيطة مثل تركيا، لذا فكانت الروايات التاريخية مُقتصرة علي السرد من المؤرخين المجاورين وليس من أهل البلاد حتي وصل بعض هؤلاء السكان إلى مواطنٍ آمنة وقصوا ما رأوه وسجله أرشيف التاريخ العثماني ورسالات السفراء وقادة الجند الروس الذين بينوا بشاعة أنواع التعذيب التي لاقاها المسلمون إبان تهجيرهم إلى خارج القوقاز.

فتلك الفترة كانت أشبه بالفجوة التاريخية التي قصّ فيها التاريخ الروس وحدهم، ولكن ترك لنا بعض الحوادث التي خلفها قواد الحملات العسكرية ورسائل السفراء لثبني السياسة القمعية لروسيا إبان الحرب الروسية التركية،

ونحن هنا نحاول جاهدين إيضاح بعض نماذج نصوص تلك الرسائل التي بيّنت آثار التعذيب وسياسة التنكيل التي انتهجها القيصرية الروس للتعامل مع أهل القوقاز. وفي ظل تغافل الكثير من أبناء جلدة التاريخ الإسلامي والعربي وفي ظل تجاهل الإعلام المحلي والدولي علي سياسات الروس، صممت علي البحث بين طيات الكتب التاريخية والسير بين دروبها ودققت علي ما جاء فيها، حتي استخرجت بعض النصوص التاريخية المادية التي تقف شاهداً علي ما جري، في الوقت الذي لم تسجل فيه كاميرات التعذيب ما جري، ولم يتبقي أحد ليروي لنا ما حدث، ويقص علينا الأهوال التي تعرض لها مسلمي القوقاز، لكن بعض النصوص شهد لها مؤرخي الشرق والغرب، وتكفي لتكون أداة لنصحح بها بعض الأخطاء العلمية فيما رواه المؤرخون ونؤكد الأحداث الأخرى.

(ج) إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في توفر المعلومات التاريخية والتي تُوضح لنا الصورة الكاملة لسعي القيصرية الروس في تهجير السكان المحليين إلي مواطن عديدة في القوقاز أو حتي في سيبيريا ومروراً ببلاد الأناضول والبلقان أو حتي في بلاد الشام. ما هو الدافع لذلك ولماذا لم يُبقي الروس علي السكان المحليين ويُصبح الأمر أشبه بالاستعمار؟ ولما حاول الروس التنكيل بالنساء والأطفال والشيوخ ولم يُفرقوا بين الكبير والصغير علي حدٍ سواء؟ ولماذا حاولوا التفريق بين الأهالي حتي أننا الآن نري بعض الأهالي في تركيا وبعض الأهل الآخرين في الشام أو في سيبيريا؟

ولما سمح الروس للمواطنين المحليين بالرحيل بعد حملات كبيرة وضغط دولي من إنجلترا وتركيا وفرنسا قام قادة السفن البحرية بإغراق المسافرين في البحر؟ هل كانت تلك استعراض للقوة العسكرية الروسية أمام الجميع؟ وأن كان هذا الاستعراض يكون بهذا الشكل وبتلك الكيفية لماذا لم يسمح الروس للرحالة والمسافرين الغربيين بتسجيل ذلك أو حتي السماح لهم بدخول تلك البلاد هذا وإن دلّ فيدل أن هذا الشعب ورث حقداً عميقاً وكرهاً دفيناً للمسلمين والإسلام الذي رأي فيهم محتلاً لأرضه ومُستعمراً لخيراتاه....

تلك روسيا الخالية من المزارع والأراضي وخامات النفط والغاز وليس لها أي شواطئ علي المساء الدافئة، بل وصل الأمر إلي حد أن سواحلها تكون متجمدة شتاءً أي أنها إذا تعرضت لهجوم فلن يكون لها أسطول للدفاع عن سواحلها وستُصبح عرضةً لهجر أرضيها من جيرانها المحاصرين لها – في وجهة النظر الروسية – سواء كانوا من الأتراك العثمانيين أو حلفائهم من الشعوب المسلمة في القوقاز أو خاينات القرم المسلمة أو شعب التتار المسلم في سيبيريا أو إمارة كازان التي وصل إليها عقب الحضارة في الوقت الذي كان فيه الروس لا يصلحون بشيء سوي في تحدي أنفسهم والقتال للوصول إلي سدة الحكم، تلك النظرة التي استطيع تخيلها أنها كانت دفيئة للحضارة الإسلامية وعندما سنحت لها الفرصة أخرجتها بكل ما أوتي لها من قوة للتربع علي حضارة المسلمين التي لم يكن لهم حضارة أو شبه حضارة تُضاهيها، فاستولوا علي مقاليد الحكم وحكموا نيابة عنهم وورثوا عنهم أساليب التحضر والتمدن وصاروا رعاة للثقافة في المدن التي شيدها المسلمون في العصور السابقة.

(د) منهج البحث:

وقد اعتمدت في هذا البحث علي المنهج التاريخي الوصفي الذي يسرد سياسة الروس في القوقاز ويتتبع صداها بدأً من القيصر بطرس الأول حتي نهاية القيصرية الروسية مروراً بالانتفاضة الشعبية عام 1877 والتي أعقبها الحرب الروسية التركية ثم حرب القرم العثمانية، ومن ثم يعرض الباحث وجهة النظر العلمية في تتبع الأحداث التاريخية ويُفند الروايات الصحيحة والكاذبة ويتتبع المنهج العلمي الصحيح القائم علي دراسة التاريخ السياسي

من خلال بعض روايات الأرشيف العثماني وبعض روايات المؤرخين المسلمين المعاصرين ومقارنتها ببعض رسائل الدبلوماسيين الروس إلي الديوان التركي مع بعض رسائل قادة البحر الروس وآثاره علي التاريخ الاجتماعي والتوزيع السكاني والتركيب الديموغرافي في بلاد القوقاز خلال القرن التاسع عشر.

2. حملات تهجير شعوب القوقاز :

لقد أشعلت الحرب الروسية التركية(†) (Glushkov, 2008; 115) فتيل الثورة الإسلامية بين الشعوب العربية الفاطنة في داغستان وأقاليم شرق بلاد القوقاز(‡) (بخيت، 2009: 30) و (شروخ، 1992: 34) و (شاكور، 1994: 198). حيث أسفرت تلك الملحمة العسكرية إلي توقيع اتفاقية للهدنة بين الطرفين قامت علي إثرها روسيا بتهجير السكان المحليين علي الحدود إلي البلدان المحيطة ولعل أبرزها جورجيا وتركيا العثمانية والمناطق المتاخمة علي حدود بلاد الشام. (سيار، 1995: 31) وكانت تلك المهادنة بداية لتقسيم شرق بلاد القوقاز سياسياً إلي عدد من الدويلات المستقلة ذاتياً عن القيصريّة الروسية. وهنا برز دور المسلمون الأتراك عندما دفعوا شعوب الجبال (§) (العبودي، 1992: 11). علي الثورة ضد الروس بانتفاضة حركية ضخمة في عام 1877م، تلك الثورة التي قامت علي أسس سياسية واقتصادية واجتماعية ولعبت بها عوامل دينية وزكتها صراعات سياسية ومذهبية بين المسلمون في شرق القوقاز والجمهورية التركية وبين حكومة روسيا القيصريّة.

إذاً ما هي أسباب انتفاضة مسلمي القوقاز علي الحكم القيصري في روسيا؟

† الحرب الروسية التركية 1877: من بين الملاحم العسكرية بين العثمانيين والروس للسيطرة علي بلاد البلقان وشرق القوقاز، والتي انتهت بالمهادنة العسكرية وتوقيع اتفاقية "سان ستيفانو" والتي نصت علي تأسيس دولة بلغاريا، ونالت صربيا ورومانيا والجبل الأسود استقلالها السياسي عن الدولة العثمانية، وهي امتداد حربي متواصل بين الطرفين عقب إنتهاء حرب القرم الأولي (1853-1856) والتي فقدت فيها الدولة العثمانية أملاكها في بحر القرم وتبعها سلسلة مواجهات بين الطرفين أهمها حرب 1877 وتبعها انتفاضة بلاد القوقاز في نفس العام، والتي حرصت فيها الخلافة العثمانية علي تأليب السكان المحليين في القوقاز ضد القيصريّة الروسية لرد هيبتها أمام الخسائر المتتالية أمام الروس. للمزيد راجع:

Kh. S. Glushkov: "130 YEARS OF THE RUSSIAN-TURKISH WAR (1877-1878) AND THE LIBERATION OF BULGARIA". 115

‡ القوقاز: أو القفقالس هي المنطقة المحصورة بين بحر الخزر شرقاً والبحر الأسود غرباً وبلاد الروس شمالاً وإيران جنوباً، وسُميت تلك المنطقة بالقوقاز نسبة إلي سلسلة الجبال الممتدة في الجنوب الشرقي لأوروبا. للمزيد راجع: بخيت، رجب محمود إبراهيم: "الفتح الإسلامي لبلاد القوقاز (17-132هـ-639-750م)", 30.

- القوقاز: كلمة مكونة من مقطعين (kaz-kaz) مأخوذة من اليونانية (kaukasos) وهي إشارة إلي أحد أبناء سيدنا نوح من الجنس السامي "قافاقوس". للمزيد راجع: الجبوري، عاصم حاكم عباس: أمانة، نضال أبو جواد: "القوقاز: التسمية وتشكيل الخارطة الجغرافية والديموغرافية"، كلية التربية- جامعة القادسية، 2017، ص 2- تأصيل القوقاز: يُشار إليها في الكتب الجغرافية القديمة بـ(جبال القيق) أو جبل قاف/ القيق/ القيق، وهي مقسمة إدارياً إلي قسمين: الشمالي يُعرف بـ(Transcaucasia) والجنوبي يُعرف بـ(Ciscaucasia) إشارة إلي تقسيم جغرافية القوقاز في السجلات الروسية. للمزيد راجع: شروخ، صلاح الدين: "القفقالس الشمالي والمستقبل العربي"، ص 34

- شاكور، محمود: "التاريخ الإسلامي" المسلمون في الإمبراطورية الروسية - التاريخ المعاصر"، ص 198- وأحياناً يُسمى في المصادر العربية بـ(القوقاز الأكبر) أو الأصغر، أو بلاد شمال القوقاز التي تمثل الجرس والكرج والشاشان، وبلاد جنوب ما وراء القوقاز وتشمل أرمينيا وداغستان وأذربيجان وجورجيا. للمزيد راجع: الجميل، سيار كوكب علي: "التكوينات التاريخية لجمهوريات القوقاز وما وراءها"، ص 31

§ سكان الجبال: المقصود منهم الشعوب الإسلامية والعربية الفاطنة في شرق القوقاز، وتسموا بسكان الجبال نسبةً إلي سكنهم سلاسل الجبال الممتدة في شرق القوقاز؛ ومن بين هؤلاء السكان نري شعوب: اللاك، اللزكي، التابارسان، الكوميك، الأفار، الدراجون، السامور. للمزيد راجع: العبودي، محمد ناصر: "بلاد الداغستان"، ص 11

تعود أصل تلك الحكاية إلي جذور مُتغلغلة (تيكاييف، د.ت: 1-3) في التاريخ الديني منذ فتح إقليم داغستان (***) (Poltavsky and Ilyina, 2016: 447). في العصر الراشدي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ابن كثير، 1998، 155)، عندما سكن في روسيا القبائل الخزرية (††) (العاني، 2018: 79) المُعتنقين الدين اليهودي (بدران، د.ت، 54) وسرعان ما دخلوا في صدام مع الهون الوثنيين (††) (حسين، 2008: 319) والصقالبة (ابن فضلان، 1959: 114) المُسلمين (§§) (واط، 2016: 44) والبلغار جديدي العهد في الإسلام (***) (Xavier de Umerov, 2013: 207) والدويلات الإسلامية المُتكونة في محيط بحر قزوين (†††) (Xavier de Planhol, 1990: 48) مُتمثلاً في الدولة الأموية والخانيات الإقطاعية التي نشأت في شرق القوقاز منذ العصر العباسي.

أما السبب الثاني كان عسكرياً لرغبة القيصرية الروسية في ترويس (†††) (Hasan, 2016: 468) المنطقة والهيمنة علي جيرانها الضعاف في شرق القوقاز بسبب ضعف مكانة الزعيم الروحي لهم مُتمثلاً في

(**) داغستان: كلمة مكونة من مقطعين (Dag- stan) وتعني بلاد الجبل في اللغة التركية. تيكاييف، حسين حاجي إبراهيم: "اللغة العربية والثقافة الإسلامية في داغستان"، ص 1. وداغستان هي إحدى الدول الأوروآسيوية في منطقة حوض نهر الدون، علي سفح جبال القوقاز الكبرى (Transcaucasus) وتمتد أراضيها علي ساحل بحر قزوين. (††) الخزر: إحدى الممالك الشعبية ذوي الأصول التركية القديمة التي قطنت المنطقة المحيطة ببحر قزوين وسهول نهر الفولغا، وكانت بداية ظهورهم في جنوب القوقاز ثم استقروا حول نهر الدون، ومن ثم ظهورهم كقوة ضاربة في التاريخ الإسلامي منذ القرن السابع الميلادي. وهناك من قال أنهم ينتمون للأصل الأويغوري والذين عادوا لأصل قبائل الشادو ترك- وهم الأتراك الغربيين منذ عام 742م. العاني، رشيد محمود رشيد. (2018). "يهود الخزر. ص 79 (††) الهون: في اللغة التركية تعني (الإنسان)، وبذلك يعود أصلهم إلي أحد الفروع التركية المغولية القاطنة في المنطقة المحصورة بين سيبيريا شمالاً، ومنغولياً شرقاً، وأواسط آسيا جنوباً، ونهر الفولغا غرباً. كان الظهور التاريخي لهم في القرن الثاني قبل الميلاد، وكان أهم قادتهم المعروف بـ(أتيل). للمزيد حول الهون ومواطنهم ودولتهم. حسين، طالب مشتاق. (2008). "أتيل ودوره السياسي والعسكري، ص 319.

(§§) الصقالبة: أو السلاف: كلمة مُشتقة من الكلمة الإنجليزية (slave) والتي تعني العبيد، وفي العربية يُقال الجنس السلافي أي الجنس الأبيض المشوب وجهه بالحمرة. كذلك يستصاغ من الإسم انتماء هذا النوع من السكان إلي وسط وجنوب أوروبا. كما أشار ابن فضلان في رحلته إلي بلاد الروس إلي الصقالبة أنهم سكان الشمال الأوروبي وعاصمتهم عند مدينة "كازان" علي نهر الفولغا. واط، ويليام مونتغمري. (2016). "تأثير الإسلام في أوروبا، ص 44

(***) البلغار: هم أحد أنواع الشعوب التركية المُنتمية إلي الجنس السلافي في شمال روسيا، ظهورهم علي الساحة عام 517م عند فنلندا وامتدت مملكتهم حتي اتسعت شمالاً ووصلت إلي بحر الخزر، وهم مختلفون اختلافاً تاماً عن سكان بلغاريا الحالية في جنوب شرق البلقان، وظلت قبائل البلغار علي الساحة حتي الغزو المغولي لروسيا ومحيط بحر قزوين وهنا انتهت دولتهم علي حساب التتار المغول المسلمون. للمزيد راجع: E. Sh. Umerov: "to the question about the language of the. 10. 207.bulgarian

(†††) بحر قزوين: هي البحيرة الداخلية الأكبر في العالم وتُقدر مساحتها بحوالي (km³ 78,600) بين دائرتي عرض (37°-47°) شمالاً، وخطي طول (46°-54°) جنوباً، وقد تعددت مُسميات بحر قزوين علي مر العصور؛ فأسماء الأشوريون (بحر الشمس العظيم)، ومن بعدهم الإغريق منذ القرن الخامس الميلادي عندما أسماه (Hecataeus) بـ[Caspia أو Caspioi]، أما المؤرخون والجغرافيون المسلمون أطلقوا عليه عدة مُسميات مثل؛ (بحر الخزر نسبةً لسكن قبائل الخزر في محيطه)، أو بحر الجبل (نسبةً لسلسلة جبال القوقاز المُمتدة في الشرق حتي الهضبة الإيرانية جنوباً)، أو بحر العجم (بحر البرابرة) كما أطلق عليه الجغرافي المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم). 48. "CASPIAN SEA. Xavier de Planhol: " .

(†††) الترويس: هي السياسة التي انتهجتها الحكومة القيصرية في روسيا لاستعمار الشعوب الإسلامية القاطنة في بلاد القوقاز ووسط آسيا أو بمعنى آخر محاولة التنصير وإرجاع السكان عن دينهم وتبديل عقيدتهم أو طردهم من أراضهم، وبناء الأديرة والكنائس وتحويل المساجد إلي كاتدرائيات وافتتاح المدارس التبشيرية الداعية لترك الإسلام وإجبار السكان علي النصرانية.

الخلافة العثمانية (§§§) (Gizbulaev, 2020: 400) ودخولهم في حالة من التفكك الأسري وانعدام الروابط الاجتماعية(****) (عناية الله، 1990: 10) وهو الأمر الذي شجع القياصرة إلى التمدد الاستراتيجي علي أملاك تلك الإمارات المتصارعة في خانيات(††††) (سويلم و عبيد، 2015: 105) شرق القوقاز. (الداغستاني، 1997: 39).

السبب الثالث هو الإجراءات التعسفية التي انتهجها ملوك القياصرة ضد المسلمين في شرق القوقاز(††††) (Aslanov, 2007: 120) حيث حاول الروس (§§§) (الحسني، 2011: 260) جاهدين القضاء علي الطوائف الحرفية وعلي الأخص في الزراعة، أما الصناعة فقد حازوا مصانعهم وأعمالهم وقاموا بالتنكيل بالسكان بصنوف وألوان العذاب(****) (gadzhieva, 2018: 137). ولم يقفوا عند هذا الحد بل وصلوا إلي محاولة السخرية من المسلمين وقيامهم بحرب شرسة للقضاء علي مقدساتهم(††††) (محمد، 2018:

§§§) صاحب ضم الروس في القرن (17م/11هـ) لأجزاء هامة من أقاليم شرق القوقاز صعوبة نقل المعارف والعلوم العربية إلي اللغات الأجنبية الأخرى في ظل السيطرة الروسية وإحكام القبضة العسكرية علي منافذ الإقليم، الأمر الذي منع معه دخول العلماء المستعربون من سكان شرق القوقاز في ترجمة الأعمال الأدبية التي خلفها المسلمون طوال عصورهم التاريخية في الإقليم، مما كان سبباً في منع زيارة المستشرقين الأوروبيين للإقليم والكتابة عنه واقتصار الكتابات الأولى لمسلمين روس أمثال؛ كاظم بك، كلابوروت، باكخانوف. 400. M.A. Gizbulaev: "Dagestan Studies . 400. (****) تعددت الإمارات الإقطاعية الحاكمة في خانيات شرق القوقاز منذ القرن السادس عشر وتم تقسيمها سياسياً بعد ضعف مركز السلطة العسكرية في الخلافة العثمانية وإيران، وكان من بين تلك الإمارات؛ خانية شاكي التي أسسها الحاج جليبي في عام 1747، خانية باكو التي أسسها ميرزا محمد، خانية زكالاتا الجورجية التي تم تأسيسها في نفس العام، بالإضافة إلي خانيات كوبا، شيرفان، دربند، قرباغ، كنجة، تاليش. للمزيد حول الخانيات الإسلامية في القوقاز. عناية الله، رحمة الله. (1990). "أذربيجان المسلمة، ص 10

(††††) الخانية: هو إسم يُطلق علي حكام الإمارات التركية المغولية المستقلة في عهد إيلخانات فارس والعراق، وهي مجموع الإمارات والممالك التي تم تأسيسها من أولاد جوجي بن جنكيز خان، مع العلم أن هذا المصطلح يُشير إلي إسم الممالك القاطنة في تركستان الشرقية قبل الغزو المغولي وعُرفت بإسم خانية أو خانيان أو خاقانية، ثن انتشر هذا الإسم وأصبح يُطلق علي كل الإمارات الإقطاعية المحلية في وسط آسيا وشرق القوقاز وشمال أوروبا. 15. سويلم، عادل عبدالمنعم، عبيد، شبل إبراهيم. (2015) "نقوش كتابية فارسية، ص 105.

(††††) حَوْلَ القياصرة قزوين إلي ثكنة عسكرية بعد مساعي القيصر بطرس الأول (1682-1725) لضم الخانيات المحيطة ببحر قزوين وتحويل ثروات الإقليم إلي مواد خام للصناعات الروسية، فضلاً عن مساعدة الحملات العسكرية في توفير الطاقة البشرية والخيرات المادية، وهو الأمر الذي دفع الروس للتضييق علي سكان القوقاز وتهجيرهم من مواطنهم للاستفادة من خبرات بلادهم. Aydin Aslanov: "The Caucasus. 120

(§§§) الروس: أو في الترجمة اللاتينية (RÚS) هم سكان أوروبا الشمالية في مناطق البلطيق واسكندنافيا؛ أشار إليهم ابن بطوطة في رحلته بإسم "الرُوسية" قائلاً: "وقد رأيت الروسية قد افوا تجارتهم، ونزلوا علي نهر إتل (أي نهر الفولغا)..... ثم يُضيف معلومات حول أشكالهم وأجناسهم قائلاً: "...كانهن النخل، شقُرُ حُمُرُ لا يلبسون القراطق....ولكل منهم فأس وسيف وسكين لا تُفارقة". (الحسني، سليم. (2011). "ألف اختراع واختراع. 260

(****) لعبت الحرب القوقازية دور كبير في محاولة تهجير سكان داغستان من مواطنهم إلي مناطق محلية أخرى أعالي الجبال بهدف تبادل السلع والماشية بعد التضييق العام من القيصرية الروسية علي السلع والمنتجات التجارية، ولكن بعد المزيد من الحملات التعسفية ضد سكان الإقليم دفعتهم عوامل عديدة إلي الهجرة إلي مواطن أخرى قريبة تابعة للدولة العثمانية.

Dzhasmina Umrudinovna AKHMEDOVA, Khalisat Valerevna GADZHIEVA: "THE IMPACT 137.OF CAUCASIAN WAR

(††††) بدأ الروس بالصدام العسكري مع جمهورية شركسيا الإسلامية الواقعة علي الحدود الجنوبية وفي محيط البحر الأسود منذ عهد القيصر الروسي بطرس الأول 1722، حيث استطاع الروس دخول الإقليم بعناد عسكري أقرب إلي 22 ألفاً من المقاتلين، بالإضافة إلي القوات البحرية التي بلغ عتاها حوالي 442 سفينة رست في موانئ البحر الأسود، فضلاً عن القوات البرية

(126) وهو الأمر الذي قابله أهل الجبال بانتفاضة شعبية كبيرة ظلت قائمة لمدة عام من سنة 1294/1877 هـ إلى عام 1295/1878 هـ (Salmasizadeh, 2020: 56).

وقد بدأ الروس في محاولة تهجير أولي دفعات السكان المحليين إلى سيبيريا (§§§§§) (حاجم، 2019: 151) وتم هذا الأمر بالفعل عندما أجلوا ما يُقارب من 5000 أسرة عربية وحُكم علي سكانها بعدم العودة إلى مواطنهم مرة أخرى (*****) (كامل، 1995: 87) ثم اتجهوا إلى دربند (†††††) (معلوف، 1956: 210) (Erich, 2011: 13) والمدن الثائرة وقاموا بأسر قادتها البالغ عددهم 300 شخص وإعدامهم (†††††) (الداغستاني، 1997: 36) و (محمد، 2018: 126).

المتكرزة في قلعة كيزكلار في داغستان، لكن باءت المحاولة بالفشل لمقاومة الشراكسة الجيوش الروسية حتى اضطرت دوقية موسكو لإخلاء الإقليم عام 1735م.

††††† الحرب الروسية التركية: المعروفة في المصادر الأجنبية بـ (Russo-Turkish War) كانت إحدى المساعي التي رغب بها قياصرة روسيا لمد نفوذهم إلى المياة الدافئة في البحر الأسود والمتوسط وبحر قزوين تحت ستار حماية الحقوق المسيحية لنصاري القسطنطينية في حكم العثمانيين، وبعد انتصار العثمانيين في حرب القرم الأولى رغب الروس في تقوية مملكتهم ومد نفوذهم نحو الجنوب فخاضوا غمار الحرب ضد الأتراك في شرق القوقاز، مما دفع العثمانيين إلى تأليب السكان المسلمين في روسيا تحت الحكم القيصري للقيام بالثورة لإضعاف هيبة دوقية موسكو والحد من سيطرتها علي الأقاليم التي تبعت من قبل الدولة العثمانية.

§§§§§ سيبيريا: في اللغة التتارية مكونة من مقطعين (ساي+بيريا) وتعني الأرض النائمة (نسبةً إلى الأرض الجليدية التي لا يقطنها بشر)، ومررت سيبيريا بعدد من المراحل التاريخية بدأ من العصر الإسلامي حتى الغزو المغولي وتأسيس خانية سيبيريا في القرن (14م/8هـ).

***** عاني المسلمون في روسيا أشد أنواع العذاب منذ عهد القياصرة البيض في دوقية موسكو، ثم تبعهم الحركات الشيوعية التي قامت في مطلع القرن العشرين في عهد الروس الحمر، ثم أصحاب المنهج الليبرالي الحديث الذين ما لبثوا أن واجهوا مقاومة إسلامية شرسة في شرق القوقاز، فما كان من الأباطرة الروس وقادة الجيش (القائد ستالين) من تهجير السكان المسلمين إلى الأرض الباردة في سيبيريا وأسكنوا محلهم الجورجيين أصحاب المذهب الكاثوليكي.

††††† دربند: تُعرف في قواميس اللغة بأنها كلمة فارسية مكونة من مقطعين (در+بند)، فالشق الأول يعني المغلق، والثاني يعني الباب، فيقال دربز الباب أي أغلقه بشكل يمنع فتحه، والدربند هو المكان المُغلق (إشارة إلى موضع دربند الجغرافي علي ممر التجارة في شرق القوقاز لا يوجد له سوي ممر وحيد) الذي لا يُفتح إلا بمفتاح ويُقال عليها أيضاً دروند في الفارسية وتعني البوابات المغلقة بأقفال.

- أما جغرافياً هي إحدى مدن إقليم داغستان علي الساحل الغربي لبحر قزوين، تتميز بموقعها الفريد عند خط طول (42° 3') شمالاً، ودائرة عرض (48° 18') شرقاً، وتبتعد بحوالي 3كم عن الشريط الساحلي الضيق المؤدي إلي بحر قزوين. ††††† ولم يكتفي الروس بذلك فقط بل قاموا بإحراق قري بقاظنيها وسجل القصص الشعبي في داغستان بطولات المسلمين في قري "تسوداخار"، سوكراتيل، ومعركة كوراخ الحربية، وقد لعب الثوار دور كبير في التأثير علي المحيط الشعبي في السيطرة علي أقاليم شرق القوقاز ضد المستعمر الروسي وهو الأمر الذي واجهه الروس بمعاقبة كل من شارك في الثورة بكل أنواع العذاب وكان من بين هؤلاء القادة؛ محمد الحاج، عباس باشا، وعبدالمجيد صبير، وما لبثت أن تم إخماد الثورة إلا أن قام الروس بشن حملات عسكرية ضخمة لكل من شارك ضد القوات القيصرية وإعدامهم.

وقد سجلت لنا كتابات المصادر التاريخية بطولات الجراكسة أيضاً في التصدي للغزو الروسي إلي بلادهم منذ مطلع القرن التاسع عشر: أي قبل غزو إقليم داغستان بنصف قرن، ولكن لم يمنع تقدم الجيش الروسي أي عوائق فانتهجت أسلوب القتل والتعذيب والتشريد لحوالي 80 قرية في بداية الزحف العسكري حتي وصلوا إلي عام 1822 عندها اتخذ الروس منهج الإبادة الجماعية لكل الشعوب الإسلامية ووصلت عدد القري المدمرة 200 قرية، ونتيجة لسياسة القمع العسكري فر الجركس من بلادهم ولم يتبقي من أصل 300 ألف جركسي سوي 35 ألفاً فقط.

وقد كُلت محاولات الروس المستمرة للسيطرة علي بلاد القوقاز (§§§§§§) بالنجاح التام وظهر علي الساحة مصطلح "الترويس" الذي صادف حركة مقاومة إسلامية(*****) (هيئة التحرير بمجلة الحج و العمرة، 1963: 83-84) (أرسلان، 1957: 1233) بزعامة الإمام شامل الداغستاني (††††††) (صبري، 1960: 3045).

ولكن سرعان ما فشلت المقاومة الإسلامية بفضل سياسات التنكيل التي اتبعتها الروس ضد سكان الجبال واستطاعوا إخماد الثورة الإسلامية وقمع الحركة الشعبية وسيطروا على المنطقة بالكامل، نظراً لعدم شمول جغرافية روسيا على بحار أو مسطحات مائية تجعلها بالقرب من المياه الدافئة مما دفعها لخوض غمار الحرب ضد مسلمي شرق القوقاز. (Aslanov, 2007: 120)

وبعد تلك الإجراءات التعسفية التي انتهجها الروس ضد مسلمي القوقاز اتجه عدد كبير منهم للنجاة بنفسهم خارج القوقاز بعدما رأوا أنواع التنكيل في قرى (كوموخ، تيليتل، ايركوني، نوكوش، ميني، ماخي، أوراخى، كالا، كاباتينت، وسوكراتي وغيرها من القرى (عبدالقادر، 2004: 126) تلك الأعمال الإجرامية تمت برعاية القيصر الروسي "نيقولا الأول" (††††††) (كاظم، 2018: 365) الذي أرسل إلي الجنرال "ألكسندر بيكوفيتش تشيركاسكي (§§§§§§)" (Rakhaev, 2015) بإبادة كل العصاة - أي: مسلمي الجبال، تلك السلسلة الحربية الطويلة كلفت الطرفين الكثير، فالأول يُريد موطناً جديداً مليئاً بالخيرات، والثاني يري فيه دخيلاً يُريد الاستيلاء علي قوته فحمل سلاحه مُدافعاً عن أرضه، وكانت تلك الانتفاضة بداية الحروب السجال بين مسلمي الجبال في روسيا وبين روسيا القيصرية ثم السوفيتية فيما بعد، وظلت تلك الحرب القوقازية مُستمرة حوالي 42 عاماً لم تنتهي غير بعد مقتل الإمام " شامل الداغستاني" (Бутова, 2013).

§§§§§§) هدف الروس إلي السيطرة علي شعوب شمال القوقاز المسلمين من الداغستان والشيشان، وشرقاً بلاد الاستين (استونيا الشمالية والجنوبية) والجرس والكرج غرباً، والأذربيين والأرمن جنوباً. للمزيد حول شعوب منطقة بلاد القوقاز. (*****) بدأت حركات المقاومة الإسلامية في القوقاز علي يد الشيخ "محمد غازي" المنسوب إلي قبائل [كوموخ] والذي لقبه الروس بلقب (المُلا) وتعني الفقيه أو الإمام، نسبة لأنه قاد الثورة الدينية ضد الروس، وتبعه "حمزة بك" ولكن سرعان ما استشهدا في الصراع العسكري ضد الروس، ومن ثم تبعهم الإمام شامل الداغستاني الذي قاد لواء الإسلام وحارب الروس واستمرت حربه ما يُقارب الأربعين عاماً ذاق فيها الروس أنواع الهزائم بشتى الطرق، فجهزت روسيا جيوشها الجرارة واتجهت صوب داغستان حتي حاصروا الإقليم عام 1859 وقتلوا الإمام شامل وسلموا السلطة لبعض الأمراء المحليين الذين ما لبثوا أن حوّلوا دفة الحكم إلي روسيا القيصرية.

††††††) الشيخ شامل الآقاري: أو (أواري) أحد مواليد مدينة (كمرا) في داغستان، تعلم في مساجد المدينة الأداب والعلوم الشرعية وعند سيطرة الروس علي القوقاز التجأ إلي الطرق الصوفية وبخاصة النقشبندية لمقاومة المد الروسي في إقليم داغستان وتلمذ علي يد معلمه (الشيخ محمد الكمراوي) الذس استشهد علي يد الروس، وما لبث أن نهج سبله الإمام شامل في جهاد الروس وأصبح إمام أهل القوقاز حتي وفاته عام 1870م.

#####) هو دبلوماسي شهير ولد بمدينة استونيا Estonia عام 1798م، في أسرة أرستقراطية وقد منح لقب الأمير نظراً لجهوده الدبلوماسية، تلقى تعليمه الأساسي في كانون الثاني 1811 بمدرسة النبلاء في مدينة تسارسكوي سيلو Selo Tsarskoye. §§§§§§) **ألكسندر تشيركاسكي (Bekovich-Cherkasskiy)**: أحد أهم القادة الروس المشاركين في حرب القوقاز الكبرى والذين عهد إليهم القيصرية بالتنكيل بالمسلمين في مقابل تعزيز السلطة الروسية في شمال وجنوب بلاد القوقاز، وكان أحد شركاء القيصر بطرس الأول ومن ثم انتهج منواله القيصر نيقولا الأول.

كما كان المبعوث السري إلي إيران الصفوية لاستكشاف الأحوال العامة لإيران وقدرة سيطرتها علي بحر قزوين والدفاع عن ممتلكاتها الشمالية، ثم أرسل في سفارة ثانية إلي خان كيفان (Khiva khan) لإقناعه بقبول التبعية لروسيا مقابل مرور خط التجارة العام من بلاده رغبة منها في سد الطريق أمام العثمانيين والروس من الاستفادة من مسار التجارة بين الشرق والغرب.

ليست الأسباب العسكرية فقط ما ساهم في نزوح سكان الجبال من إقليم داغستان، بل كان للسفارات الدبلوماسية التي أرسلها الأتراك من بلاط خلفاء آل عثمان إلي سكان الجبال سبباً في نزوح أكثرهم إلي تركيا العثمانية. (الداغستاني، 1997: 37) وقد أركى ذلك الفقر المادي والتفكك الاجتماعي والتشتت القبلي الذي ساد في إقليم الجبال والذي تسبب في هجرة كثير من السكان إلي الخلافة العثمانية، وكان السبب الفعلي وراء سفارات الأتراك هو منح الهوية التركية للوافدين واستعمالهم في تكوين حلف قوى لمجابهة الروس بعد السيطرة التامة علي شرق القوقاز، ومنع تكرار مآسي المجازر الوحشية التي فعلت بمسلمي القوقاز السابقين، بالإضافة إلي الاستفادة منهم في تكوين حلف إسلامي قوى بعد خسارتها أملاكها في البلقان وجنوب أوروبا بعد الصراع طويل الأمد مع القوى الغربية (ناشخو، 1995: 18-20).

ويمكن تقسيم حالات النزوح الجماعي لأهالي إقليم الجبال إلي ثلاث مراحل؛ الأولى بين أعوام 1859-1862/1275-1278 هـ، والمرحلة الثانية بدأت في عام 1276/1863 هـ، والمرحلة الثالثة في عام 1281/1865 هـ (الداغستاني، 1997: 37) وقد شمل هذا النزوح الجماعي كل شعوب شرق القوقاز من الداغستانيين والشاشان والأبازة والكرج والأديغة والأبخازيين والأنجوش والأفاريين والليزكي والقارتشيف والبلقار وغيرهم من الشعوب الإسلامية القاطنة في شرق القوقاز وجنوب روسيا (شروخ، 1992: 34).

وقد شكل النزوح الجماعي لمسلمي القوقاز امتحاناً قاسياً كانت ضريبته ترك أراضيهم ومساكنهم وقوتهم وهجرتهم إلي الوطن الأمن، وهو الأمر الذي صادف هوى الروس الذين رأوا أن تلك الهجرات في صالحهم ولن يكلفهم شيء وهو الأمر الذي صرح به السفير الروسي في مدينة طرابزون التركية قائلاً: وصل اليوم طرابزون الموافق 1865/7/10 م ما يقارب من 247 ألف شخص من أصل داغستاني، هلك منهم 19 ألف غرقاً في البحر (29)، وقد أشار بعض المؤرخين المعاصرين أن قادة البحرية الروسية تلقوا أوامر من قيصر روسيا بإغراق السفن قرب مضيق البوسفور انتقاماً منهم. (ناشخو، 1995: 18-20).

ويُرجح بعض المؤرخين أن سبب تلك الانتفاضات كانت بسبب سياسات العثمانيين في حث شعوب القوقاز علي الصدام مع الروس بعد انتهاء الحرب الروسية التركية (1877-1878/1293-1294 هـ) (30) (Ковалев, 2011: 110) وبعد انتهاء الحرب اتجهت الخلافة العثمانية إلي تسكين المهاجرين علي الحدود العربية في بلاد الشام وفلسطين- والأردن وسوريا، فكما وجد المهاجرون الوطن الأمن وجدت الخلافة العثمانية أن الهجرة في صالحها لذا حرصت علي استقبال المهاجرين لتعويض الفاقد البشري الذي فقدته في حروب البلقان، فقد جمع بين الطرفين العامل الديني الذي رأي فيه الشعوب القوقازية أن الخلافة العثمانية هي الدولة الأخيرة التي تمثل الدول المُعتنقة الدين الإسلامي وتُصارع نحو البقاء.

وشهدت علي تلك الهجرات العديد من القرى الداغستانية في تركيا العثمانية وهي مُقسمة حسب نوعية القبائل القاطنة بها والتي تنوعت بين الكوميك والأفاريين والليزكي في مناطق سيوار ومرعش وقارص،

(29) تنوعت هجرات مسلمي القوقاز عن طريق البر فراراً من حملات البطش التي قام بها الروس ضد قاطني شرق وغرب القوقاز من قبائل الشركس والشيشان والداغستان، ولكن مع ازدياد ضراوة الحرب قامت البحرية العثمانية بنقل المهاجرين إلي أملاك الدولة العثمانية في البلقان وعلي سواحل البحر الأسود بمعاونة البحرية الروسية والفرنسية والإنجليزية، وخلال تلك الرحلات قام الروس بالانتقام من مرتحلّي القوقاز وإلقائهم في البحر إما بسبب تفشي الأمراض بينهم، أو لزيادة أعدادهم، أو رغبة في الانتقام منهم بإلقائهم في مياه البحر الأسود.

(30) الحرب الروسية التركية: كانت أهم الحروب التاريخية في العصر الحديث وكانت خاضعة لأسباب تاريخية وجغرافية وثقافية ومذهبية بين روسيا وشعوب القوقاز الإسلامية، وكانت نتائجها مؤثرة علي المنطقة بالكامل في تهجير سكان القوقاز المسلمين إلي الخلافة العثمانية وإيران وبلاد الأناضول والشام ومصر وبلاد البلقان.

في حين قطنت قبائل الدراغون في يالوفا وسوار، أما التابارسان سكنوا في باليكسير، أما قبائل اللاك سكنوا في بالتار ويورنيكال وأرضروم، أما شعب النوغاي سكن في قونية وأضنة. (الداغستاني، 1997: 38).

ليست الخلافة العثمانية فقط هي من استقطبت المهاجرين من أقاليم شرق القوقاز بل جورجيا نالت نصيب ليس بالصغير في استقبال الوافدين، وصارت تبليسي - العاصمة الجورجية - ملاذاً أمنياً بالنسبة لمسلمي القوقاز، ليس هذا فقط بل أصبحت العاصمة الجورجية مركزاً للأنشطة الحرفية والثقافية لشرق القوقاز، وهو ما أشاد به المؤرخون المعاصرون من إقامة سكان "غازي كوموخ" في تبليسي وتأسيس رابطة عمالية في جورجيا عملوا في الفضة والمعادن وصناعة السلاح. (الداغستاني، 1997: 39).

وقد ارتبطت الشعوب القوقازية بعلاقات اتصال ثقافية وتاريخية منذ العصور الوسطى ومطلع العصر الحديث مع الروس، عندها رأي الروس أن أقاليم شرق القوقاز هي الامتداد الجغرافي الطبيعي لهم وحرصاً منهم على التواجد في المياة الدافئة لبرودة أراضيها شتاءً، بدأت أولى محاولات تجهيز الجيوش للسيطرة على القوقاز منذ القرن السادس عشر في عهد القيصر بطرس الأول الذي شن حملة عسكرية للسيطرة على أملاك الدولة الصفوية في محيط بحر قزوين خلال الفترة بين (1614-1635/1022-1044هـ) (Aslanov, 2007: 120).

ثم تلاها في الفترة اللاحقة إرسال سفارات إلي بلاطات ملوك أوروبا لجذب انتباه العلماء وشن الحرب ضد الخلافة العثمانية عام 1679/1089هـ، كما أشار المؤرخ الروسي "كلوتشيفيسكي" وكان الهدف من تلك السفارة هي جذب الاختصاصيين في الشؤون البحرية إلي روسيا للاستفادة من خبراتهم في أمور السفن والأساطيل لمجابهة الدولة العثمانية، واتجهت السفارة إلي هولندا وكان بطرس الأول من ضم وفودها وقد استأجروا عدداً من القطع البحرية للطواف في بحر البوسفور وقد عمل معهم حوالي 900 شخص وأخذوا عليهم عهداً للإقامة في روسيا. (الداغستاني، 1997: 39).

أما الموطن الثالث لهجرة الشعوب القوقازية كانت سوريا وقد ارتبطت سوريا بداغستان منذ العصر الراشدي المبكر منذ فتح بلاد الداغستان عام 22هـ/642 في عهد خليفة المسلمين - الخليفة عمر بن الخطاب - عندها دخلت الشعوب الإسلام أفواجاً ومن أجل طلب العلوم الدينية والتنقل بين أرجاء الدولة الإسلامية حرص السكان الجدد على الارتحال إلي بلاد الشام والجزيرة العربية لطلب العلوم الدينية، ليس إلى هذا الحد فقط بل حرص العسكر المسلمون على معادلة ميزان القوى في شرق القوقاز بتجهيز فئات عسكرية من جنود الشام وتوطينها في شرق القوقاز ضد هجمات الخزر المتتالية.

ولم يتوقف دور الشعوب القوقازية علي تلك الحقبة التاريخية بل كانوا النواة الأساسية لنشر الدين ومقامة المد العسكري الروسي بدايةً من القرن السادس عشر، وقد أوردت لنا كتب التراجم التاريخية عدداً من أسماء الشيوخ الداغستانيون الذين ارتحلوا لطلب العلم في بلاد الشام ومنهم؛ محمد موسى الكلوكي الأوارى المتوفى في حلب عام 1710/1122هـ، عبدالله الداغستاني المتوفى في دمشق عام 1972، وهو الأمر الذي يؤكد تواجدهم العائلات الداغستانية في سوريا حتى الآن ومنهم العائلات التالية: أوارى الداغستاني، محمد قاسم وتقطن في مدن (دمشق، حمص، حلب). (الداغستاني، 1997: 161).

الموطن الرابع لهجرة الشعوب القوقازية كانت بلاد البلقان وعلى شواطئ البحر الأسود بعد الخسارة الثقيلة التي تكبدها مسلمي القوقاز إبان الحرب الروسية الشرشرة سنة 1864م/1280هـ، والتي تبعها تفشي وباء الجدري الذي حصد أرواح الكثيرين، فضلاً عن المجاعات التي أصابت الشعوب القوقازية بعد تضيق الخناق من قبل الروس في زراعة الأراضي وسكن القبائل الإسلامية أقاليم الجبال، وبالتالي أصبح ليس لهم

أى مأوى مما كان سبباً في المجاعات التي انتشرت في شرق القوقاز منذ عام 1863م/1279هـ (ناشخو، 1995: 19).

وقد عمد العثمانيون علي إسكان الشركس في البلقان علي المناطق الحدودية المتاخمة لصربيا والمجر واليونان، وكانت سياسة الدولة العثمانية بالغة الذكاء في إسكان الشعوب القوقازية جهة المناطق التي تزايد بها النفوذ الروسي علي الحدود الرومانية الأوكرانية في وسط أوروبا وبلاد البلقان (31) (بدرخان فصيح، 2006) حرصاً منها علي توازن القوى في بلاد البلقان بعد دعم الروس للشعوب البلقانية للثورة من مظلة الخلافة العثمانية، مما أجبر القيصر الروسي عام 1860م/1276هـ علي طلب ترحيل السكان من المناطق الحدودية للبلقان إلى مناطق أخرى للدولة العثمانية، فما كان من الدولة العثمانية إلا أنها قامت بإسكانهم علي الطريق الرابط بين إستانبول وغرب أوروبا للدفاع عن المدينة في أى محاولة لاقتحام العاصمة من قبل الغزاة (ناشخو، 1995: 20).

3. خاتمة:

شهد القوقاز في العصر الحديث حملات متهجة لتهجير سكانها المسلمين إلي أراضٍ أخرى لحرص الإمبراطورية الروسية علي إعادة موازنة السكان في محيط جغرافيتها عبر التشتيت الديموغرافي المسلمين وإرسالهم إلي مواطن بعيدة عنها للأمان من أعداد المسلمين الهائلة التي قد تشعل فتيل الثورة والقتال في الأراضي الروسية مجدداً، فحرصت علي توزيع شتات المسلمين علي بلاد مجاورة وحلّ محلهم أيضاً سكان روس علي المذهب الأرثوذكسي؛ وكان من بين الدول التي هجرت إليها جموع السكان سيبريا، وجورجيا، وتركيا العثمانية، بالإضافة إلي بلاد الشام.

قائمة المصادر والمراجع

ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد). (1959). "رسالة ابن فضلان في وصف بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ-921": تحقيق: سامي الدهان، المجمع العلمي العربي بدمشق.

ابن كثير(الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت774هـ). (1998). "البداية والنهاية": تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي. الطبعة الأولى، الجزء 10، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة.

أرسلان، منير. (1957). "علاقات شعوب القوقاز بالعرب والإسلام": المجلد 2، العدد 4، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية.

³¹ عمل السلطان العثماني علي نشر الدعايات الكاذبة بين سكان شرق القوقاز منذ عام 1864 يطلب منهم الهجرة إلي الدولة العثمانية والدول التابعة لها، ووعدهم بتوفير الأراضي والضياح مقابل انضمامهم للجيش العثماني، وهو الأمر الذي تكرر تباعاً في الحرب الروسية التركية عام 1877 وهي الحرب التي فاز بها الروس ضد العثمانيين، فما كان من العثمانيين إلا أنهم قاموا بتزكية الثورة ضد الروس، وعليه تم ترسيم الحدود بين أملاك العثمانيين والروس طبقاً لمعاهدة برلين 1878 التي تم إرجاع السكان المحليين من البلقان وحول البحر الأسود إلي مناطق أخرى في الشرق الأوسط تابعة للخلافة العثمانية.

- بخيت، رجب محمود إبراهيم. (2009). "الفتح الإسلامي لبلاد القوقاز (17-132هـ-639-750م). تقديم: أسامة سيد أحمد، الطبعة الأولى، العلم والإيمان للنشر.
- بدران، غسان عاطف. (د.ت). "الخزر لا بنو إسرائيل العاصمة (إتل) لا القدس الشريف". جامعة النجاح- كلية الشريعة، مؤتمر يوم القدس العاشر.
- بدرخان، فصيح. (2006). "شمال القوقاز في العلاقات الروسية العربية في الماضي والحاضر". المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقائع الندوة الثانية: الحوار الثقافي الروسي العربي: الحاضر والمستقبل.
- البيومي، محمد رجب. (1963). "الشيخ شامل بطل المعارك القوقازية": الجزء 6، العدد 17، مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج.
- تيكايف، حسين حاجي إبراهيم. (د.ت). "اللغة العربية والثقافة الإسلامية في داغستان". مركز دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية. كلية الدراسات الشرقية - جامعة داغستان الحكومية.
- جاسم، نادية: كاظم، عدي. (2018). "ألكسندر ميخائيل غورتشاكوف (1798-1883) وتأثيره على السياسة الروسية": المجلد 26، العدد 9، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية/ جامعة بابل.
- الجبوري، عاصم حاكم عباس: أمانة، نضال أبو جواد. (2017). "القوقاز: التسمية وتشكيل الخارطة الجغرافية والديموغرافية": كلية التربية- جامعة القادسية.
- الجميل، سيار كوكب على. (1995). " التكوينات التاريخية لجمهوريات القوقاز وما وراءها ": المجلد 17، العدد 193. المستقبل العربي- مركز دراسات الوحدة العربية.
- حاجم، حسان صادق. (2019). "الوجود الصيني في سيبيريا: دراسة في الفرص والمحددات"، المجلد 8: العدد 28، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، جامعة كركوك.
- الحسنى، سليم. (2011). "ألف اختراع واختراع (التراث الإسلامي في عالمانا): مجلة ناشيونال جيوغرافيك. - مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة.
- الداغستاني، بدر الدين أوراى. (1997). "داغستان والداغستانيون في العالم". تقديم: عبدالله محمديف، مراجعة: زياد الملا، تدقيق: نذير عبدالرحمن شق، الطبعة الأولى.
- راجع: حسين، طالب مشتاق. (2008). "أتيلا ودوره السياسي والعسكري في بناء الإمبراطورية الهونية 406-453م (دراسة تاريخية): العدد الثالث عشر: المجلد الأول، مجلة كلية التربية- جامعة بابل، العراق.
- سويلم، عادل عبدالمنعم، عبدي، شبل إبراهيم. (2015) "نقوش كتابية فارسية على عمائر دينية بخانية "خيوه" في القرنين 2هـ/ 19 - 18م : دراسة في الشكل والمضمون". المجلد 33: العدد 130، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت- مجلس النشر العلمي.
- شاكر، محمود. (1995). "التاريخ الإسلامي: المسلمون في الإمبراطورية الروسية - التاريخ المعاصر". المكتب الإسلامي.

شروخ، صلاح الدين. (1992). "القفقاس الشمالي والمستقبل العربي": المجلد 15: العدد 163، مركز دراسات الوحدة العربية.

صبرى، علي. (1960). "من رجال الاصلاح : الشيخ شامل زعيم القوقاز": المجلد 4، العدد 7، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية.

العاني، رشيد محمود رشيد. (2018). "يهود الخزر وأدوارهم السياسية في التاريخ": الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية.

عبدالقادر، عصمت برهان. (2004). الثورة الداغستانية / الشاشانية 1859 – 1834": العدد 38، جامعة الموصل - كلية الآداب.

العبودي، محمد ناصر. (1992). "بلاد الداغستان": سلسلة زيارات المسلمين في الاتحاد السوفيتي، الطبعة الأولى.

عناية الله، رحمة الله. (1990). "آذربيجان المسلمة بين روسيا وأرمينيا": الطبعة الأولى.

كامل، عبدالعزيز. (1995). "الأحداث في القوقاز : حرب لم يكسبها الروس ولم يخسرها الشيشان": العدد 86، المنتدى الإسلامي.

محمد، أحمد علي صالح. (2018). "الصراع الروسي العثماني- تهجير الشركس وأثره على التدهور الديموغرافي: دراسة على القرن 19م": العدد 34، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة نواكشوط.

معلوف، لويس. (1956). "المنجد في اللغة والأدب والعلوم": الطبعة 19، المجلد الأول، المطبعة الكاثوليكية.

ناشوخو، جودت حلمي صالح. (1995). "تاريخ الشركس والشيشان في لوائى حوران والبلقاء من عام 1878-1920م": رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

هيئة التحرير، عارض. (1993). "بلاد الطاغستان والشيخ شامل": العدد 66، المنتدى الإسلامي- البيان.

واط، ويليام مونتغمري. (2016). "تأثير الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى": ترجمة: سارة إبراهيم الذيب، مراجعة: سحاب الأحذب، الطبعة الأولى، جسر للترجمة.

N. Poltavsky & E. V. Ilyina: "New records to the Pyraloidea fauna of the Republic of Daghestan (Russia) (Lepidoptera: Crambidae, Pyralidae), vol. 44, núm. 175 , Madrid, Spain, 2016. (Russian)

Aydin Aslanov: "The Caucasus in Yhe Geopolitical Struggle: 200 years ago Russian Troops Captured Baku", Vol. 1 (2), Baku, Azerbaijan, 2007.

Dzhasmina Umrudinovna AKHMEDOVA, Khalisat Valerevna GADZHIEVA: (2018). "THE IMPACT OF CAUCASIAN WAR ON INTERNAL MIGRATION OF THE POPULATION OF DAGESTAN", Vol. 23, No. 175, Bulletin of the Tambov University. Series Humanities.(Russian)

B. B. Hasan: "SOME SPECIFIC ASPECTS OF EDUCATION SYSTEM GOVERNANCE CARRIED OUT IN PERIOD OF TSAR RUSSIA IN CAUCASUS", Volume 8 5/1, Baku, Azerbaijan, 2016. (Russian(

J. Ya. Rakhaev: "KABARDIN PRINCIPLES IN THE RUSSIAN-OTTOMAN WARS 1711-1712: MISSION OF ALEXANDER BEKOVICH-CHERKASSKY ", History and Ethnology, Izvestia SOIGSI 17 (56), 2015 .

Kettenhofen, Erich: (2011). "Darband", Encyclopedia Iranica (online edition), Vol. VII, November 15. <https://www.iranicaonline.org/articles/darband-i-ancient-city>

Kh. S. Glushkov: "130 YEARS OF THE RUSSIAN-TURKISH WAR (1877-1878) AND THE LIBERATION OF BULGARIA", Vol. 13.No.1, Bulletin of the Bashkir University. Bulgaria, 2008 .

M. Salmasizadeh: "Russian-Turkish war 1877-1878 in Iranian historiography of the XIX century and modern Iranian historiography", Vol. 2, No. 1, History and modern worldview, 2020. (Russian(

M.A. Gizbulaev: "Dagestan Studies according to the Arab authors of the IX-XIII centuries, in the historiography of Russian and foreign scientists", Vol. 12 No. 4, RUDN Bulletin, Journal of World History, 2020. (Russian (

E. Sh. Umerov: "to the question about the language of the bulgarian khanate "magna bulgaria", Volume 26 (65), No. 2. Scientific notes of the V.I.Vernadsky Tavrichesky National University, 2013. (Russian (

Xavier de Planhol: "CASPIAN SEA", Encyclopedia Iranica, Vol.V, Fasc. 1, originally published: December 15, 1990 .

В. Ковалев: (2011). "The Russian-Turkish War Of 1877-1878. in the historical memory of Russian emigration", The Russian-Turkish War of 1877-1878 in historical memory, Saratov .

o.a. бытова. (2013). Role of the first naibs of Shamil Khadzhi Mohammed and Suleyman Efendi in political consolidation of the Western Circassia (1842-1846)", No.23, Apsheronk of Krasnodar.(Russian(